

الفصل الثامن

سلالة بابل الاولى وعصر حمورابي

نهاية سلالة بابل الاولى وحكم الكاشين

الفصل الثامن

سلالة بابل الاولى : ١٨٩٤ - ١٥٩٥ ق. م

قدر لمدينة بابل ان تحضى في هذا العصر المعروف بالعصر البابلي القديم بز عامة البلاد وان تصل في زمن الملك السادس لهذه السلالة وهو حمورابي . إلى اوج عظمتها وكدليل على العظمة التي نالتها هذه المدينة فقد اصبح اسم بابل يطلق على كل السهل الرسوبي من بلاد وادي الرافدين (سومر واكد) كما أنها بقيت ذات شهرة خلال الفترات اللاحقة . وخاصة في الفترة المعروفة بالعصر البابلي الحديث الذي سيأتي الكلام عنه في موضع لاحق .

ذكرنا في خلال حديثنا عن الصراع بين سلالتي ايسن ولارسة انه في السنة الاولى من حكم ملك لارسة سومو - ايل (اي في عام ١٨٩٤ ق. م) . اختار احد شيوخ القبائل الامورية واسمه « سومو - ابوم » مدينة بابل لتكون عاصمه له . ولا نعرف الظروف التي ساعدته على المجيء الى الحكم في بابل ، فلا ندرى ما اذا كانت له علاقة سابقه باحد ملوك احدى الدوليات الامورية في العراق مكتنة في الاخير ، على غرار ما فعل اشبي - ايرا مع الملك ابي - سين ، من الاستقلال السياسي ام انه جاء الى الحكم عن طريق استيلائه على مدينة بابل على رأس قبيلة من الاموريين . ومهما تكون تلك الظروف فقد حكم سومو - ابوم اربع عشرة سنة (١٨٩٤ - ١٨٨١ ق. م) قام خلالها بتعزيز مدينة بابل بالتحصينات فبني سورا حولها ثم قام ببعض الاعمال الحربية التي استطاع بواسطتها مد نفوذه الى ملديتي كيش وسبار .

خلف سومو آبوم - عدد من الملوك الذين قاموا بإنشاء المعابد وحفر قتوات الاواء وتوسيع نفوذهم على بعض المدن المجاورة ، ومن هؤلاء سين - ميلط (١٨١٢ - ١٧٩٣ ق. م) الملك الخامس في سلالة بابل الاولى والذي كان يعاصر

في الحكم الملك ريم - سين في مدينة لارس . وقد حدثت في عصر سومو - آبوم منافسات بين السلاطين الا انها لم تكن حاسمة لاي منهما .

حمورابي : (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق.م)

وسلم حمورابي الحكم بعد ابيه « سين - ميلط » وكانت امامه مهام كثيرة وصعبه كان من ابرزها توحيد البلاد التي كانت مجزأة الى ممالك ودوليات عديدة جئنا على ذكر اهمها مثل لارس، واشنونا، واسور، وماري . وقد اثبتت الحوادث ان حمورابي يعتبر بحق من اعظم الملوك في التاريخ القديم . فبالاضافه الى مقدرته العسكرية التي مكتنه ان يصبح في الاخير حاكم البلاد بلا منازع فانه كان وجل اداريا ناجحا وشرعا كبيرا .

لقد كانت المملكه التي ورثها حمورابي صغيره نسبيا حيث كانت تتمتد من مدینه سبار (في منطقة البوسفية) الى مدینة مرد (على الطريق بين الديوانية والحلة) وبتعبير اخر انها لم تكن تزيد على ٨٠ ميلا طولا و ٢٠ ميلا عرضا . وكان يعاصر سلاطه بابل الاولى ممالك اخرى قوية . فجنوب القطر برمه كان تحت سيطرة سلاطه لارس و وخاصة بعد ان استطاع ملكها ريم - سين القضاء على سلاطه ايسن في عام (١٧٩٤ ق.م) ، اي قل مجيء حمورابي الى الحكم بستين فقط . اما الى الشمال فقد كانت هناك مملكة اشور و مملكة ماري و يحكمها الملك الاشوري شمشي - ادد و ابنه يسمع ادد . و الى الشرق كانت مملكة اشنونا يحكمها الملك دادوش الذي كان حليفا للعلمانيين .

ولاشك في ان ان حمورابي كان يطمع ، مثلما فعل اجداده من قبله ، في توسيع رقعة مملكته ، لكنه فضل الانتظار الى ان تسنح الفرصة المناسبة . ولذلك فانه قضى السنوات الخمس الاولى من حكمه دون ايه عمليات حربية . وفي السنة السادسة من حكمه قام حمورابي بالهجوم على مدينة ايسن فاحتلها ثم سار على طول الفرات حتى وصل الى الوركاء في الجنوب . وفي السنة السادسة سار بجيشه باتجاه الشرق الى مملكة يموث - بعل التي تقع بين نهر دجله و جبال زاكروس و احتل

مدينة ملكيسم التي تعتبر مفتاح الطريق الى المنطقة . و اخيرا احتل في السنة العاشرة
مدينة رابيضم الواقعة على الفرات (في منطقة الرمادي) . ثم توقف حمورابي بعد
ذلك عن العمليات الحربية لفترة طويلة نسبيا تقدر بعشرين عاما . كرسها لاعمال
البناء وال عمران مثل بناء المعابد وتحصين المدن بالأسوار والاهتمام بشؤون الري .

وفي العام الثلاثين من حكمه اي في سنة ١٧٦٣ ق . م عاد حمورابي الى
استئناف العمليات الحربية . ففي هذه السنة استطاع حمورابي ان يحرز نصرا
عسكريا حاسما على خصميه القوى ديم - سين ملك لارسه وان يقضي على مملكته
نهائيا . وبعد ذلك بسنة اكتسح مملكته اشتنا و من بعدها مملكة ماري (في السنة
الثانية والثلاثين) . و اخيرا فرض سيطرته على بلاد سوبارت (بلاد اشور) وبذلك
اصبح حمورابي بحق زعيم البلاد بلا منازع وجديرا ان يلقب نفسه بلقب « الملك
العظيم ، ملك بابل ، ملك بلاد الاموريين كلها ، ملك سومر واكد ، ملك جهات
العالم الأربع » .

وعلى هذا النحو استطاع حمورابي توحيد البلاد من اقصى جنوبها الى اقصى
شمالها . ولذلك نجده يكرس السنوات الاخيرة من حكمه الى اصدار قانونه
الشهير المعروف بقانون حمورابي الذي عثر عليه في مدينة سوسه عام ١٩٠١ .
سوف نطرق بشيء من التفصيل الى هذا القانون عند كلامنا عن القوانين في
بلاد وادي الرافدين ويكوننا ان نعرف الان ان قانون حمورابي دون باللغة البابلية
على مسلة من حجر الديوريت طولها ٢٥ رم ومحيطها ٦٥ رم ويمكن تقسيم
هذا القانون من حيث محتوياته الى (١) المقدمة وقد كتبت باسلوب ادبى يذكر
فيها حمورابي كيف ان الآلهة امرته بنشر العدل بين افراد الشعب الذين وضعتهم
الالله امانة في يديه وبالقضاء على الظلم لكي لايسود القوى على الضعيف ولكي
يعم العدل والرخاء في البلاد . ثم ينتقل حمورابي في هذه المقدمة الى ذكر قائمة
باسماء المدن التي تغلب عليها وكون منها امبراطوريه . (٢) القوانين : اذ تضم
شريعة حمورابي ٢٨٢ مادة تتعلق بالجرائم المرتكبة ضد ادارة الدولة والقضاء

وحقوق الملكية ، وهناك مواد قانونية تتعلق بالأراضي ، والبيوت ، والتجارة وآخرى خاصة بالزواج ، أى العائلة ، والميراث ، ثم مواد قانونية تحدد حقوق الصناع ومسئولياتهم واجورهم ، ومواد اخرى تنظم الاجور والاستئجار ومجموعة من المواد تحدد حقوق الأفراد من طبقات المجتمع المختلفة وخاصة العبيد . (٣)

الخاتمه : ويقول فيها حمورابي ان تلك هي المواد القانونية التي شرعاها وان الغرض منها نشر العدل لكي لا يظلم القوى الضعيف ، ولأجل تحقيق العدل الى الايتام والارامل . ثم يتطرق حمورابي بعد ذلك الى عظمة وسيادة مدينة بابل والى معبدها الشهير ايساك - ايلا والى تمثاله الشخصي الذى وضعه في هذا المعبد

وتدل رقم الطين المدونة في هذا العصر ، اى العصر البابلي القديم ، على ان حمورابي اولى ادارة الدولة اهتماما كبيرا وانه كان حريصا على السرعة في تنفيذ الاوامر الادارية وانصاف الأفراد والتأكد من كفاءة واحلاص موظفيه . وتعتبر الرسائل التي تبادلها حمورابي مع موظفيه من المصادر المهمة بهذا الخصوص اذ تستخلص منها معلومات قيمة عن اوجه مختلفة من المجتمع البابلي ادارية كانت واقتصادية ام دينية . فتحن نفهم من رسائل حمورابي المتعلقة بالامور القضائية انه كثيرا ما طلب الدعاوى للنظر فيها بنفسه في مدينة بابل . ونفهم ايضا ان اوائل الذين يشعرون بالظلم نتيجة قرار اتخذه القضاء بحقهم كان لهم الحق باستئاف ذلك الى الملك مباشرة . ونقرأ في احدى الرسائل ان الملك حمورابي يأمر احد الموظفين ، الذى كان على ما يبدو متقاعسا في عمله ، بإنجاز كرى احدى القنوات بالقرب من مدينة الوركاء في مدة اقصاها ثلاثة ايام . ونقرأ في رسالته اخرى ان بعض موظفيه قد اتهموا بالرشوة ولهذا أمر حمورابي بالتحقيق معهم فورا وارسل التهمين والشهود الى مدينة بابل في حالة ثبوت التهمة . وفي رسائل حمورابي اخبار مفصلة عن التعليمات التي ارسلها الى موظفيه في المدن المختلفة بشأن العناية بنظام الرأى وكرى القنوات والترع وصيانتها . وهناك رسائل تتعلق بجایة الضرائب وتجهيز المواد الغذائية وطرق النقل والشحن والتجارة

وكلها ذات فائدة كبيرة لاعطاء صورة عن الادارة والمجتمع في العصر البابلي القديم .

خلف حمورابي خمسة ملوك حاولوا الحفاظ على الامبراطورية البابلية الواسعة وانهم نجحوا في ذلك ولفتره تقدر بحوالي قرن ونصف بعد حمورابي لكن نهاية السلالة البابلية الاولى جاءت في زمن ملكها الحادي عشر وهو سمسو ديتانا (١٦٣٥ - ١٥٩٥ ق.م) عندما غزوا الحيثيون البلاد ودمروا العاصمه بابل ونهبوها وأخذوا معهم تمثال الله مردوخ . وقد كان ذلك في عام ١٥٩٥ ق.م .

يعتبر العصر البابلي القديم الذي استمر ثلاثة قرون من الزمان ، من اكثربالصور الحضارية ازدهارا في تاريخ بلاد وادي الرافين حيث شهدت البلاد وكثيرا من التطورات والمنجزات في ميادين العلم والمعرفة والازدهار الاقتصادي ويمكن القول بصورة عامة ان هذا العصر يتغير بما يلي :-

١ - يمثل العصر البابلي القديم سيادة الاموريين في بلاد وادي الرافين وبتوحيد البلاد سياسيا . فقد رأينا مما سبق ان هناك ادلة تشير الى وجود الجزيوريين في وادي الرافين في عصر مكر جدا . غير انهم لم يستطيعوا السيطرة السياسية الكاملة الا في زمن السلالة الاكادية وذلك بعد انتصار سرجون الاكادي على لوکال زاكيری . ورأينا كيف ان المارتو وهم قائل بدويه من الاراضي السوريه قد لعبت دورا فعالا في اسقاط سلالة اور الثالثة السومريه وذلك نتيجة لغزوائهم المتكرره التي اربكت الحياة السياسيه والاقتصاديه في زمن اخر ملوكها المسمى ابي - سين ونذكر ايضا بان حركة القبائل الاموريه من اطراف الجزيره قد صارت قطبها في بدايه الالف الثاني ق.م اذ تمكنت بعض القبائل الاموريه من دخول العراق وانشاء سلاطين معاصرتين هما سلالة ايسن وسلالة لارسا وانه في هذه العصر . اي عصر ايسن - لارسا اصبحت كل البلاد تحت

حكم الاموريين الذين انشأوا لهم ممالك اخرى مثل اشنونا وبابل وماري واسور . ولقد استمرت البلاد في عصر ايسن - لارسا وبداية العصر البابلي القديم بادارة مركزية ويحكمها ظهور حمورابي الذي استطاع توحيدها وجعلها مجزأة سياسيا حتى مرتبطة قانون واحد .

٢ - وفي العصر البابلي القديم اصبحت البلاد وكلها ذات لغة واحدة هي اللغة البابلية التي دونت فيها المكاتب الادارية والوثائق الاقتصادية والقوانين . في حين كانت اللغة السومرية هي اللغة الرسمية في الفترة التاريخية السابقة اي خلال حكم سلا او الثالث .

٣ - وشهد هذا العصر حركة ادبية وعلمية واسعتين تمثلت في تأليف المعاجم والشروح والقواعد اللغوية . كذلك تضييف قوائم مطولة باسماء النباتات والأشجار والحيوان والطيور والاسماك والصخور . وهذه كانت بمثابة معاجم للدراسة علم الحيوان والنبات . كما تدل رقم الطين من هذا العصر على ان البابليين قطعوا شوطا كبيرا في علم الرياضيات والفلك . وثبتت اللواح الهندسية المكتشفة في تل حرمي على ان البابليين سبقو اقليدوس في معرفة خواص المثلث القائم الزاوية بزمن يزيد على ١٧٠٠ عام . وفي هذا العصر دونت نماذج متعددة من التأليف الادبية باللغة البابلية ، هذا الى جانب استنساخ كثير من المؤلفات السومرية من نصوصها القديمة . وكانت المدارس في العصر البابلي القديم من اهم المراكز التي حفظت لنا كثيرا من اوجه التراث السومري ، وقد اظهر البابليون تذوقا للادب السومري لهذا عكفوا على دراسته وقاموا باستنساخ كثير من المؤلفات الادبية السومرية التي كانت معروفة اذاك . ومن جهة اخرى شهد العصر البابلي القديم ظهور تأليف ادبي دونت باللغة البابلية وتمثل بالملامح والقصص والاساطير . وقسم من تلك التأليف يعتبر من ابتكار رجال الادب البابليين انفسهم وبعضها الاخر يرجع الى جذور سومرية